الفصل السابع

اللغـــــة

- اختلاف لغة الشعر عن اللغة العادية .
- الألفاظ والأساليب وأثرهما في التعبير .
- ملائمة اللغة للموضوع .
- الصور الوجداني — الصور الإيماني — الصور الوطن .
- ظواهر أسلوبية .
- الاتجاه إلى الشعبية والتأثر بلغة الحياة اليومية — التكرار .
- البناء الدرامي .

اللغـــة

اختلاف لغة الشعر عن اللغة العادية :

يستخدم الشاعر اللغة التي يستخدمها جميع الناس ، ولكنه يستطيع أن يخرج بهذه الأداة فنا يفوق جميع الفنون ، بما يضفي عليها من دلالات شعورية فتكون بذلك أقدر علي التصوير والتعبير من الكلام العادي .

ومن هنا يتبين "أن للغة استخدامين : استخدام الجماعة ،واستخدام الفن ، فليس من شك عند أي قارئ له حظ قليل من الثقافة أن لغة الكلام العادي لغة مهمتها الأولي توصيل الفكر من المتكلم إلي السامع .... واللغة في يد الأديب أو الفنان ليست وسيلة لنقل الأفكار إنما هي خلق فني في ذاتها ، ولايمكن للخلق الفني أن يحافظ علي سمة الخلق والابتكار أو قل علي سمة الأصالة إلا إذا خرج عن إلاطار العام الذي يعبر من خلاله كل من تكلم بهذه اللغة " .[1]

فالكلمة هي أداة الأديب ووسيلته لنقل أفكاره إلي الآخرين ، لذلك ينبغي علي الشاعر أن ينتقي ويختار كلماته ، ثم يخضعها للترتيب والتنسيق لتكون منسجمة مع غيرها .

"وإذا كان العمل الأدبي بعامة يتوقف علي الدقة في الصياغة ، فإن أولي مميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه ، فعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق وأهم من علاقة تجربة القاص أو مؤلف المسرحية في العصر الحديث ، وذلك أن الشاعر يعتمد علي ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته

١- د. محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث،دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠،ص ٢٦

التصويرية الخاصة به ".[1] بينما يكون اهتمام كاتب القصة أو المسرحية منصباً علي ترتيب الحوادث وتحريك الشخصيات .

ولا يقف الشاعر في استخدامه للكلمة عند دلالتها اللغوية ، فللكلمة الشعرية دلالة إيقاعية ، بجانب الدلالة العاطفية كذلك ، فللشعر لغته ولكن " حينما نقول لغة الشعر لا نقصد من قولنا هذا ما يمكن أن يفهمه المفسر اللغوي حسب المفهوم المعجمي ، أو ما يمكن أن يفهمه النحوي من حيث علاقة اللغة اشتقاقياً وتركيبياً ، إنما نعني بلغة الشعر طاقة القصيدة الشعرية وإمكانياتها ... لغة الشعر هنا هي التجربة الشعرية مجسمة من خلال الكلمات وما يمكن أن توحيه هذه الكلمات ، فالكلمات لدي الشعر ليست مجرد ألفاظ صوتية ذات دلالات صرفية أو نحوية أو معجمية ، وإن كان الشاعر لا يغفل في استخدامه الكلمات هذه الدلالات ، فاللغة الشعرية وجود له كيان وجسم ".[2]

وتختلف لغة الشعر عن اللغة العادية بالإكثار من الجمل الطلبية كالأمر والنهي والنداء والاستفهام ، وليس معني ذلك أن الشعراء لا يستخدمون الجملة الخبرية . "ولكن نسبة الجمل الطلبية في الشعر عالية جدا إذا قرنت بلغة النثر. وهذا يتفق مع طبيعة الشعر الذي يرمي الي التأثير في النفس ، لا إلي الإدلاء بالحجه والبرهان فالجملة الطلبية التي لا تحتمل أن يقال لقائلها صدقت أو كذبت هي أدني إلي روح الشعر من الجملة الخبرية".[3]

---

١ - د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ٤٠٨ .
٢ - د. السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث ، ص ٧١ ، ٧٢ .
٣ - د. طه حسين ، د. أحمد أمين ، د. عبد الوهاب عزام ، د. محمد عوض محمد : التوجيه الأدبي المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ص ١٣٧.

ومن القصائد التي امتلأت بالجمل الطلبية وكان لها تأثيرها في النفس قصيدة "الأمل وبقايا المحال" : [1] لا تبك الموتي

إن عصفت بالناس الحرب
لا تخش الضرب
لاتهرب من قدر
واصمد في وجه النار
اسبح في بحر الظلمات
جدف
لو ضد التيار
وتفجر بركانا يحمي من يتقدم
واعبر
حتي لو كان الطوفان
سيلا من دم

***

جمع أشلاء الموتي كل صباح
واركز بسلاحك خلف التل
لا تشفق
إن أكلت نار بعض الشهداء
أو هبت عاصفة – ليلا–
فتداعي تل الأشلاء
فالكل أمام الموت سواء
للكل سواء

---

١ - توقيعات حادة على الناى القديم ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

فوردت بكثرة أفعال الأمر المتمثلة في قوله : (اصمد – اسبح – جدف – تفجر – اعبر – جمع – اركز) وجاء النهي متمثلا في (لاتبك – لاتخش – لاتهرب – لا تشفق) ومع أن تردد الجمل الطلبية بكثرة في هذه القصيدة ساعد علي ارتفاع النبرة الخطابية ، إلا أن الشاعر استطاع أن ينقلها إلينا في بناء لغوي محكم وصور حية معبرة .

الألفاظ والأساليب وأثرهما في التعبير :

تهتم لغة الشعر باختيار اللفظ وبناء العبارة ، والشاعر المجيد هو الذي يختار من الألفاظ والتعبيرات أقدرها علي تصوير الإحساس وأحفلها بالإيحاء ، حتي يستطيع أن ينفذ الي نفس قارئه أو سامعه فيثير عنده إحساسا مماثلا وينقل إليه تجربته التي دفعته إلي قول هذا الشعر". (١)

وقد اهتم يس الفيل باللغة سواء علي مستوي الكلمة أو علي مستوي التركيب والكلمة المرادة هنا هي الكلمة في النص وليست الكلمة في المعجم ، فمن الواضح أن هناك فرقا بين المفردة النصية والمفردة في المعجم عند الاستعمال كما سنري . وفي شعر يس الفيل قابلتنا بعض الألفاظ المليئة بالرموز المشحونه بالايماءات المتعددة ، فاتخذ من الليل والجراح والأمل والزورق رموزا شعرية للتعبير عن حالته النفسية ، ومع تعدد الحالات تغيرت مدلولات هذه الألفاظ حسب طبيعة المواقف. فالليل في قصيدة " الميلاد وحكايات الخريف " يأتي بصور متنوعة ومختلفه ، فنجده يأتي بمعني القسوة والرهبة كقوله : (٢)

---

١ - د. العربي حسن درويش : الاتجاه الرومانسي في شعر أبي القاسم الشابي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ ـ ص ٨٣ ، ٨٤ .

٢ - الميلاد وحكايات الخريف ص ٩٧ .

يقول أبي

وريح الليل تلفحه

تعري جرحه للناس

وقالت لي :

وكان الليل ليلا كافر الوجدان

ويمكن لليل أن يحمل عكس هذه الدلالة كما ورد في القصيدة نفسها :[1]

وكان الليل موالاً خريفياً

ويقول :[2]

كنت أري أبي في الليل قنـــديلا

وما بين هذين المعنيين تنوعت الدلالات الشعرية لليل ،فنجده في سياق آخر يأتي رمزا للراحة والأمان : [3]

أقبل الليل ..... فنامي

قد ألفناه صديقا يتدلل

يزرع الأحلام

فينـــا يتغزل

فكلمة " نامي " تعطي معني الاستجمام والراحة والسكون والتخلص من عقابيل الواقع ومرارة الحياة . أما في قصيدة " الحب في زمن الكراهية " فيوحي الليل بالقتامة والعتمة والحزن بدليل القيثار يقول : [4]

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ٩٦ .
٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٠١ .
٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٣ .
٤ـ المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

حملت إليك عبر الليل قيثاري
وجئتك والمدي في حلمه الذهبي أغنية
أزف إليك أخباري

الجراح :

ترتبط الجراح غالبا بالآلام والطعنات ،وقد استخدمها بس الفيل مرادفة للإحباطات والمعوقات وسطوة القيود والظلم . إلي غير ذلك من المعاني المتعددة التي وردت في ثنايا قصائده .

واستخدم الجرح في مواضع أخري بمعني الهزيمة والانكسار. وفي المواضع التي تحمل هذا المفهوم يحاول الشاعر بث روح الأمل والنضال لمجاوزة الواقع المتردي للخروج منه . وصناعة غد جديد مضئ ترتفع فيه كرامة الإنسان :[1]

يسيل دم :
أحس بأننا أحياء
وأن قلوبنا تنبض
يذوب الصمت
أدرك أننا ننهض
وأنا كلما نخطو
أحس كأن ريح الموت ما عصفت
ولا اكتسحت
وأن ضراوة المجروح
ما برحت
وراء الفجر تندفع

١- توقيعات حادة علي الناي القديم ، ص ١٢٩ .

وأن كرامة الإنسان

فوق الجرح

ترتفع

وفي قصيدة "أغنية لعالم السلام" خير تعبير عن مفارقة واقع إلي واقع آخر طالما كان يحلم به من قبل حتي تحقق ، والتأمت الجراح / الهزيمة بالنصر : [1]

اشهدي زحف الرجال يا سماء

وكبري

.....

وكبرت مشاعل الصباح

والتأمت بأفقنا الجراح

ويتحول الجرح في "الميلاد وحكايات الخريف " إلي صورة : الظلم / القهر/ السلطة / سوء إلادارة / القوانين التعاونية ، إلي غير ذلك من صور الفساد التي كانت منتشرة في القرية آنذاك ، إذ بسببها ازداد الفقير فقراً :[2]

وكان أبي : يحب الأرض

يعشقها

يقطر – صابرا – في جوفها عمره

وكان يقول

رغم الجرح

بن الأرض ما هانت

ولا خانت

ولا كفت عن الإنجاب

---

١ ـ أغنية بلا وطن ،ص ٥٧.

٢ ـ الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٩٦ ، ٩٧.

ويجئ الجرح في قصيدة " الأمل وبقايا المحال" يحمل دلالة مختلفة ويأخذ بعداً آخر؛ حيث التمرد علي الواقع والثورة علي ما هو قائم وإن لم يعبر عن هذا تعبيراً مباشراً : (١)

لا تشك الظلم إلي الظالم
لا تكشف جرحا للريح
لا تصرخ
لو أنت ذبيح

الأمل :

تتردد كثيراً في قصائد يس الفيل كلمة الأمل ، وتبدأ مظاهر حضور هذه الكلمة في عناوين قصائده مثل : آمال في الثوب الآخر ، همسات للأمل الراحل ترانيم الأمل ، الأمل الأخضر ، حصاد الأمل ، للأمل ، الليل وشلال الأمل ، مرافئ الأمل . وهذا الحضور القوي للأمل لا يدعو للدهشة عندما ننظر في المعجم الشعري عند يس الفيل فنجده يشكل مساحة واسعة فيه ، حيث ورد سبعا وثلاثين مرة عنوانا لقصائده ، كما يشكل مساحة واسعة أيضا في نسيج بنائه الشعري مما يوحي بسيطرة هذه اللفظه علي شعره وشعوره معا ، وله مجموعتان شعريتان بعنوان حصاد الأمل ، والأمل مطر الفصول الأربعة .

والأمل لدي يس الفيل يأتي معادلاً للحياة :(٢)

فالعمر بلا أمل يبدو
موت أبدي وضياع

---

١ - توقيعات حادة علي الماي القديم ، ص ١١٩ .
٢ - المصدر السابق ، ص ٤٤ .

- وقد يرمز بالأمل للمستقبل المنشود الذي يتحقق بالنصر ويغير من جهامة الواقع بعد عذابات الهزيمة والضياع : [1]

أري الأفاق ترتعد
فأعتقد
أن رفاقنا عادوا لما وعدوا
ويندلع اللهيب وراء جدران رماديه
فلا يعني
سوي أنا لأمنية
بكل الشوق نندفع
وأن معالما كانت ضبابيه
أمام الخطو تتضح
وأنا ...
كلما نخطو
....تلوح مرافئ الأمل

ويأتي الأمل موازيا للفرح ، الفرح لميلاد الابن : [2]

ملاكي البرئ
لود أن أطير
أن أجمع العبير
وكل ما يلوح لي من الأمل
تحية ندية إليك

١- المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
٢ - المصدر السابق ، ص ٦٧ .

الزورق :

أكثر ما يتصل بعالمه كالمرافئ والشواطئ أكثر من ذكر الزورق وكل ما يتصل بعالمه كالمرافئ والشواطئ والبحار والأمواج والشرع والضفاف والملاح والرياح .

وتنوع استخدامه للزورق بتنوع حالاته الشعوريه ، فنجده في الكثير من دلالاته يوحي بالقلق وعدم الاستقرار ، وفي النادر ما يأتي بمعاني تدل على الطمأنينة والأمن .

ومن القصائد التي ورد فيها الزورق للتعبير عن معاناته ومأساته في الحياة قصيدة "الأمل الأخضر : [1]

ومن رحلتي كل يوم أعود
وفي زورقي من حصاد العذاب
جراح عميقه
وذكري سحيقه
لحب ترنح خلف الضباب
لعمر تمزق بين الهضاب

وقصيدة السفر إلى مدينة الأمل يستخدم الزورق للتعبير عن حالة مغايرة للحالة السابقة يبدو فيها التفاؤل والإشراق : [2]

زورقنا
للأمل يغني
حتى لو تتعبه يوما أرق المشوار
زورقنا :

١- توقيعات حادة على أنغام التنين ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
٢ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٤١ .

للحب يغني

حتي لو لم تسمع دنيا

حتي لو لم يصعد يوما للأعلي شدو المزمار

أما في قصيدة "أغنية بلا وطن" فيوحي استخدام الزورق بمعني الانتظار، انتظار المخلص، وقد دل الاستفهام الداخل علي الفعل "يأتي" على هذا المعني الملئ بالترقب والقدوم والحيرة كذلك :[1]

وأسبح

أسبح خلف الإجابه

أسأل نفس السؤال الغبي

أيأتي النبي ؟

وفي زورقه

مئات القلوب

مئات العيون

مئات الشفاه

إلي ربوتي

وإصرار الشاعر علي استخدام كلمات بعينها ودورانها كثيرا في شعره يدل علي موقعها من نفسه، حيث إنها تتسع لتحمل دلالات متنوعة ومختلفة مما يجعلها قادرة علي التعبير عن حالات الشاعر المختلفة.

فالليل – مثلاً – اختلفت نظرة الشعراء إليه، فهو ليل طويل ثقيل عند امرئ القيس يتمني انجلاءه وانكشافه وهو بذلك مصدر ألم وعذاب، وقد ينظر إليه شاعر آخر علي أنه مصدر للسعادة والهناء لأنه ملتقي الأحبة فيتمني أن يطول

---

١ - أغنية بلاوطن ص ٥٣.

ويمتد ، وما بين هذين المعنيين تعددتْ نظرة الشعراء وتباينت كل حسب إحساسه بهذا الوقت من الزمن .

وجاء تعبير يس الفيل عن الليل ونظرته إليه في صور متعددة بلغت حد التناقض في بعض الأحيان تبعا لتعدد حالات الشاعر كما رأينا .

وورد استخدامه للأمل مقابلا للجرح مما يدل علي نفسيته كإنسان بسيط فطري ، فبرغم الجراح التي تعرض لها لا ييأس ولم يفقد الأمل في غد جديد أفضل .

ويأتي الزورق ليمثل دور الإنسان في الحياة ، حيث تتقاذفه الملمات والأحداث كما تفعل الأمواج والرياح بالزورق .

والكلمة أو العبارة في الشعر لها وظيفتها في الأداء ودورها الحيوي في التعبير عندما تأتي في مكانها المناسب ، ومن القصائد التي حفلت بالكلمات الموحية والعبارات المؤثرة قصيدة "إلهي" يقول في بعض مقاطعها : (١)

إلهي قد أتيتك مستجيرا ... وهل مثلي بغيرك يستجير

دموعي في ظلام الليل تهمي ... وأعماقي يمور بها سعير

فإن أغضيت وجهك عن مسيئ ... فمن يا رب يرحم أو يجير

أتيتك تائبا فاقبل متابي ... وألهمني الهدي إني أسير

"في هذه اللوحة بناء جيد وقدرة علي وضع اللبنة اللغوية في مكانها الفني بحيث تعبر وتصور فمثلا : رد الأعجاز علي الصدور في " مستجيرا " في الشطر الأول ثم يكرر الفعل يستجير في نهاية الشطر الثاني وفي " قد أتيتك " ما يوحي بحمل النفس والجسد معا علي المثول أمام باب العفو ، وعتبه الغفرن ، والإقلاع عن زلل

---

١ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

المعصية وأغلال الكفران ،ثم يأتي دور الاستفهام الذي ينمّ عن تصاغر وتعجب ويكشف عن عالم صغير صغير وخالق كبير كبير " وهل مثلي بغيرك يستجير " ، وفي الفصل بين مثلي والفعل يستجير بالجار والمجرور شبه الجملة ما يشعر بالتلهف والرغبة والإكبار ، وليس من قبيل إقامة الوزن وابتغاء الروي . أما قوله " دموعي في ظلام الليل تهمي " ففيها إجادة من حيث هميان الدموع ، وأما ظلام الليل فامتداد لغوي ، ولو قال " دموعي في ظلام النفس تهمي " لنوع في التعبير" . (١)

وتكثر في هذه القصيدة أساليب التأكيد ،وهي تتسق مع ما يحرص عليه الشاعر من اعتراف بالذنب والإيمان المطلق في سعة عفو الله . وتتنوع أساليب التأكيد المستخدمه ، فهناك التأكيد بأن التي تتردد بكثرة ، وترد في مجال الإقرار بالخطأ والندم والخوف من الله . (٢)

إلهي أنت تعلم أن قلبي ... بحبك سابح عبر السنين
وتعلم أن نفسي أرهقتني ... وأنك فوق فوق مدي ظنوني
ولكني ومعذرة فإني ... أخاف إذا أتيتك تزدريني
ولومن أن ما في الكون شئ ... بغير إرادة للرحمن يجري
ولكن الذي أدريه أني ... أخاف الله في سري وجهري
وأعلم أن فيضك يا إلهي ... على العاصين بالرضوان يفري

كما استخدام حرف التحقيق والتأكيد "قد" في سياق الفعل الماضي ومن أمثلة ذلك قوله :(٣)

وقد نامت عيون الناس حولي ... وعينك أنت وحدك تحنوينى

---

١ - د. عبد الله سرور : الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٤٥ .
٢ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٥٥ .
٣- المصدر السابق ، ص ٥٦ .

وقد شد الحنين إليك روحي ... وطار بها على أمل يقيني

إلهي ليس لي أمل ... وهذى ... خطايا العمر قد ملكت زمامي

وأيامي وقد نزفت صديداً ... تكاد تخر من وهن أمامي

وقد ورد أسلوب النداء بكثرة ، حيث كرر كلمة "إلهي" في مواضع متعددة من القصيدة وهذا يتناسب مع مقام المناجاة ، كما كرر كلمة يا رب مرة مع أداة الاستفهام (هل) وأخري مع (من) وللاستفهام دلالته في هذا المقام كما ذكر سابقاً. أما الأفعال المسندة إلي ضمير المتكلم فجاءت تجسد أحوال الذات وهي في مقام المناجاة تجسيدا دقيقا ، فتوحي لنا بالاستغراق التام في المناجاة ومن الأفعال التي تدل علي ذلك (أصعد – أمد – ألجأ – أخاف ، أرتجيه ، ما زلت ، أناجي أومن ، أعلم ، ألهمني) .

كما ورد خطاب المناجاة بصيغة فعل الطلب المصحوب بالتمني كقوله "فقربني إليك – خذ بكفي ، كن عند الصراط إلي يميني ، فاقبل متابي ، ألهمني الندي".

وإذا كنت قد اشرت من قبل إلي دور الكلمة والعبارة في البناء الشعري فعلي الجانب الأخر قابلتنا بعض الألفاظ القليلة المتنافرة بسبب تكرار كلمات متشابهة كقوله :[1]

غثاء والغثاء وإن تولي ... غثاء في مواتك لا يفيد

وقوله :[2]

وإنما هو بالحسني دعا فنمت ... علي يديه البقايا من بقايانا

---

١ - الأمل مطر الفصول الأربعة ، ص ٨٦ .

٢- الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٨٩ .

ووردت بَعض الكلمات والعبارات كان الغرض منها إقامة الوزن وضرورة القافية ، من هذا النوع قوله :[1]

والحب أروع ما يـري متـدثرا في سـترة لا سـافرا عريانـا

فالسفور مرادف للعري ، والمعني المقصود من (عريانا) هو الانكشاف والوضوح والظهور ، وهو المعني نفسه المراد من (سافرا) أما قوله :[2]

في هدأة الليل ، والأكوان غافية والعدل يقظان لا يختل ميزانـا

فجملة "والعدل يقظان لا يختل ميزانا " كما يقول الدكتور عبد الله سرور جاءت " زيادة لإقامة الوزن لا سيما في قوله لا يختل ميزانا وإن حاول الشاعر جاهداً أن يخفي ذلك فى زخرفة بلاغية مثل (غافية ، ويقظان) ..... إذ ما دام في يقظة فهو غير مختل إلا إذا كان من قبيل التوكيد ، والشعر لمحة دالة ، يغنيك عن كثيره قليله ، وعن نثريته شاعريته.[3]

وقد وردت بعض التعبيرات النثرية العادية التي لا تتفق وروح الشعر – خاصة في المرحلة الأولي من حياته – فنجد عبارات إنشائية لا تخرج عن كونها مجرد نظم كقوله .[4]

ومرت لحظة بلهاء كانت في حسابي عام
رأيت الدمع في عينيه والتقريع والإيلام
لم الإيلام يا صياد ؟ دعني فالخطوب جسام
رفاق العمر قد مروا وما ألقوا إليّ سلام

---

١ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٤٩ (مطبوع) .
٢ - المصدر السابق ، ص ٧٦ .
٣ - د. عبد الله سرور : الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٣٧.
٤ - من خارج أسوار الليل ، ص ٢٩.
٣ - السابق ، ص ٦٩ .

وقوله[٣]

هذا قليل من كثير صغته ... عجزت عن استيعابه الأفهام

مواءمة اللغة للموضوع :

من المسلم به أن هناك علاقة وثيقة بين الموضوع الذي يتناوله الشاعر وبين اللغة فيكون رقيقا في مواضع الرقة ، قويا عنيفا في مواضع القوة والعنف .

ولكل شاعر طريقته في تناول الأغراض التي يكتب فيها ويستعين في التعبير عنها بوسائل أسلوبية يتمايز فيها كل شاعر عن غيره . وسأحاول هنا في مجال التطبيق علي الأغراض الشعرية التي كتب فيها يس الفيل الوقوف عند أهم المحاور والوقوف عند أهم الألفاظ التي تتردد في كل محور.

المحور الوجداني :

استخدم الشاعر في هذا المحور ألفاظا وتراكيب تتلاءم مع أحاسيسه وعواطفه ، حيث يحتاج شعر الغزل إلي ألفاظ رقيقة ، تتسم بالخفة والرشاقة فاستخدم مجموعة من الألفاظ ذات الطابع الوجداني كما قوله.[١]

حتي متي هذا العناد وأنت لي ... دنيا ، أتيه بها ... وأنت أماني

فلترجعي .... أنا لم أزل متعطشا ... وللحب من لهب البعاد يعاني

إني أحن إلي هواك .. وإن نأي ... عني هواك .. ولج في عصياني

ويقول في قصيدة أخري.[٢]

أهيم به .. فيبتعد ... وأهجره .. فيرتعد

وأستدنيه ، يوعدني ... ولا يوفي بما يعد

---

١ ـ الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

٢ ـ أغار يدي ، ص ٦٤.

وإن عاتبـــــت ، يأخـــــذه غـــــرور مالـــــه سنـــــد

وإن أصـــــمت ، فيـــــاولهي ويـــــا بـــــرح الـــــذي أجـــــد

فالشاعر يستخدم ألفاظاً كثر استعمالها عند الشعراء الوجدانين مثل : (الحب ، لهب ، البعاد ، المعاناة ،الحنين ، الهوي ، أهيم ، يبتعد ، أهجره ، يرتعد ، أستدنيه ، يوعدني ، يوفي ، عاتبت ، غرور، الشوق) وهو يعبر من خلال هذه الكلمات عن تجربة وجدانية ، وعن إحساس عاشق ينفث ثورته العاطفية .

ويري الدكتور أحمد زلط "أن الانحياز شبه الكامل للاتجاه الرومانسي عند يس الفيل يمثل خاصية فنية عميقة التجارب ، وسمة شخصية عرف بها الشاعر لكننا بحاجة إلي تعضيد آخر يؤكد صدق ما زعمناه وهو تأملنا لاستقراء إحصائي حول أهم جوانب التشكيل اللغوي ، وعلي وجه الخصوص انتخابنا لمجموعة من ألفاظ الشاعر وتراكيبه يغلب عليها التكرار وتدخل في إطار معجم الشعراء الوجدانيين " وقد طبق الناقد هذا الإحصاء والاستقراء علي ديوان الميلاد وحكايات الخريف فوجد أن هناك " خمسة عشر لفظا تتكرر في سائر القصائد برسمها الإملائي أو في صيغ الجمع والترادف ، وهي بحسب احتفال الشاعر بها : الطبيعة (٥٢ مرة) ، الحب (٥١ مرة) الجراح (٤٩ مرة) العواصف (٤١ مرة) الحلم (٤٠ مرة) ، القلب (٣٩ مرة) ، الليل (٣٥ مرة) ، الزمن (٣١ مرة) الأمل (٢٤ مرة) الغناء (٢٤ مرة) الإيمان (٢٤ مرة) الرحيل (٢٠ مرة) ، الهجر (٦مرات) ، الموت (٥ مرات) . [1].

---

١ - د. أحمد زلط : دراسات نقدية في الأدب المعاصر ، ص ٢١٧.

الحضور الإيماني :

يبرز الحضور الإيماني لدي يس الفيل بصورة واضحة علي امتداد مجموعاته الشعرية وإن بدا ظاهر التكثيف في المجموعات الأخيرة .

وهذا يتناسب مع المرحلة الزمنية من حياة الشاعر . فالشيخوخة قد تكون لها اليد الطولي في التركيز علي غرض بعينه . فالزهد والتأمل والحكمة والشعر الديني من الأغراض التي يتناولها الشعراء عادة ويكثروا من تناولها بعد سن الشباب ويمكن رصد بعض الألفاظ والمفردات التي تشكل معجمه في هذا المجال مثل : الحلال ، الحرام ، الندم ، الخطايا ، الذنوب ، العصيان ، الصراط ، العون العفو ، المناجاة ، الخوف ، الهدي ، التوبة ، الرضوان ، الحلم ، الرحمة ، السلام الإيمان ، العطف ، الحصن .

وفي هذا المجال يبدو شهر رمضان صاحب الحضور القوي فهو كما يقول : " فرح السماء " وهو " الأمل الندي" كما أنه " نغم اليقين " . وقد حشد الشاعر في قصائده مجموعة من الكلمات التي تتناسب مع الشهر الكريم ومع هذه المناسبة مثل : القيام ،الوئام ، الضراعة ، العطاء ، الصفاء ، الخير ، التهجد ، البشري ، السمو التسامي . وغيرها . يقول في قصيدة بعنوان ترانيم رمضانية. (١)

رمضان يا أمل المحب وأنت لي ... ملأ يجمل بالعطاء سنيني

أبعد خطاي عن المروق .. ولا تدع ... شططي يجور علي مدار سنيني

ها أنت تشرق بالهدي لأحبتي ... وتعز دنياهم بأكرم دين

صاموا نهارك مؤمنين وشدهم ... لقيامهم بالليل ألف حنين

واستغفروا همم الغفاة وأرخصوا ... أموالهم ، جادوا بكل ثمين

١- أحزان علي شفة الكمان ، ص ١٠٠.

ويقول في قصيدة أخري. [1]

أقبل أمانا
وانطلق أملا
وحلق بالمحبة والسلام
عام يمر
ونحن في شغف إليك
تجئ صحوا
يقتفي أثر الغفاه
يفك أردية البلاده
من علي جسد النيام
ويعيد من ألف الرقاد
إلي الركوع
إلي السجود
الي القيام

ثم يقول :

أواه
يا شهر الصيام
أقبل أمانا
يحمل المتباغضين
إلي الوئام
أنت البداية للهدايه
أنت يا نعم الختام

١- المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

بك نستعين

فكن لنا

فوق الصراط

يدا تساند

فنجد كثيرا من الألفاظ ذات الأبعاد الدينية والتي تحمل في طياتها المغزي الديني مثل قوله (الصوم ، الجود ، المحبة ، الوئام ، السلام ،الهداية) وفي قصائده الدينية المتعددة تتدفق الألفاظ التي تدل علي التعبد والتهجد والمناجاة .[1]

آتيك ملتمسا هداك مؤكدا	أني بعونك لن أضل طريقي
فتجاوز اللهم عن زلل سطا	زمنا عليّ وردني لعقوقي
وامنح رضاك لمن أتاك مؤملا	إن الرضا أمل لكل غريق
حتي .. وإن ثقلت علي خطيئتي	أو شلت الأوزار نبض عروقي
فأنا بعفوك أنت أصعد للعلا	متجاوزا ألمي ومعقل ضيقي

المحور الوطني :

إذا كان شعر يس الفيل في المرأة قد امتلأ بالألفاظ الرومانسية والتعبيرات الوجدانية التي كشفت عن علاقته بها ، فإن قصائده الوطنية الكثيرة التي تغني فيها بحب الوطن لم يستطع أن يتخلص من لغته الرومانسية فجاءت بكلمات الغزل والعشق والشوق :[2]

وسرت إليك

شوقا عارما

وهوى

---

١ - المصدر السابق ، ص ١٢٦.

٢ - أغنية بلا وطن ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

وتقبيلا

أمد إلى يديك يدى

فتعطى لى

بشل الصمت قافيتى

فتوحى لى

وفى ليلات أحزانى

تغنى لى

وأستلقى على صدرك

أطرز فوق أشرعة الزوارق

فرحة المشتاق للشاطئ

وأملأ من زهور النيل قنديلى

ثم يقول :

وفى ألق الهوى المشبوب

أستعر

وأوشك أن أذوب

وفيك أحترق

ومفردات حب الوطن لا تقتصر على كلمات العشق والهيام ولكن قد تكون مفردات هذا الحب الصمود والموت واللهب واللظى والنار. [1]

سأنطلق

ومن بوابة الريح الشماليه

سأخترق المدى لهبا

بلا خوف

---

١ - توقيعات حادة على الناى القديم ، ص ١٥١ .

بل رهبه
بلا تمهيدة بلهاء تكوينى
بلا غربه
ولو هبت رياح الغدر
وانقضت على قدمى
سأخطو فوق طوفان اللظى حمما
وأقتلع العيون الزرق من رأس صليبيه
ولو فى النار أحترق
فإن شرارة بين الرماد
غدا ستندلع
تفجر فى الربى أملا

ظواهر أسلوبية :

الاتجاه إلى الشعبية والتأثر بلغة الحياة اليومية :

تأثر الشعر فى العصر الحديث بلغة الحياة اليومية تأثراً وضحاً " سواء على مستوى استخدام بعض الكلمات المرتبطة بلغة الحديث اليومى ، أو على المستوى العبارات ونظام تركيب الجملة".

وجاء شعر يس الفيل مشتملا على بعض الألفاظ والجمل التى " فيها وقع الحياة وانعكاس صداها لغة سهلة قريبة لكنها فصيحة وصحيحة" .

وقد استطاع شاعرنا أن يستعيد بعض التعبيرات الشعبية المصرية وصاغها بلغة فصيحة ، فأعطاها تميزاً خاصا ، مما جعلها ترتبط بواقع الحياة الاجتماعية ارتباطا وثيقا . ومن أمثلة الاستفادة من التراث الشعبى استخدامه

تقسيم الشدائد والسرور بينه وبين صديقه كناية عن المشاركة ، فالتقط تعبيراً شعبياً يعبر عن حالته :

ولمّا لم أجد فـي النـاس خـلا يقاسـمني الشـدائد والسـرورا

والشاعر بهذا يعبر عن الروح المصرية البسيطة وعن عادة اجتماعية تنتشر خاصة بين الطبقات الشعبية وهي تقسيم رغيف الخبز بين الأصدقاء ، فاستعار هذه العادة لتقسيم الهموم والأحزان والأفراح والمسرات ، حيث كان يود صديقا يتقاسم معه أشواقه وبلواه . وهذا الاستخدام لبعض العادات الشعبية يعطى الإحساس العميق بالمعنى الذى يريد الشاعر معالجته ، فضلا عن أنه يتحول إلى جزء من نسيج شعره

ويقترب يس الفيل من معجم اللهجة العامية فيستخدم مفردات وتراكيب مثل :

يا مصر ،هذا مهرجان زاخـر بالحـب طلّـي إنـه يتـودد

وقوله :

وبعضهم كالح العينين .. في ثقة يحكي عن الحب..وهو الظفر والناب

وقوله :

في زمان الانكسار

يستوي البائع والشاري

وقوله:

ولن أنحني يـا بقايـا الشـموخ فإني أدوس الوعـود الذليلـه

وقوله :

توجهني إذا ما اختـل سـيري وأعيتني الخطي ولنـا طـري

وقوله :

عذرا..هو الحب .. ما في الحب إحراج في وصله تستوي طنطا وسوهاج

وقوله :

وحفظت أشجاري ، وصنت مغارسي وحميت ساحاتي من الأوشـــاب

وقوله:

وأقتلع العيون الزرق من رأس صليبيه

ولاشك أن هناك أثرا لإغراء العامية عندما نجد الهمزة وقد تحولت إلي ياء كما في قوله: (١)

ومر العام

مر العام

ومازالت صحارينا

صحارينا تحن إلي يد الفنان

ثم اقترب أكثر من اللهجة العامية عندما نجد بعض الكلمات التي لا نستطيع أن نقرأها إلا باللهجة الدارجة كقوله :(٢)

وعشت في بؤرة النسيان راغبـــة

عن الحياة .. لمن ؟ بالله قولي لي

وقوله : (٣)

أمد إلي يديك يدي

فتعطي لي

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ١١٤ .

٢ ـ الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٧٧ .

٣ ـ أغنية بلا وطن ، ص ٢٣.

يشل الصمت قافيتي

فتوحي لي

وفي ليلات أحزاني

تغني لي

كما تضمنت لغة يس الفيل بعض الأمثال الشعبية كقوله :[1]

إن أنت ناقشتهم.طاف الغباء بهم وقال لا : ليس هذا مربط النمر

وإن كان الاستعمال الشائع بين العامة (ليس هذا مربط الفرس) فاضطرته القافية إلي استبدال كلمة بأخري . ولم يقتصر يس الفيل علي استخدام ألفاظ شعبية دارجة ، ولكنه أتي بعبارات مستقاة من أفواه العامة ، فنراه يخاطب الحبيبة قائلاً:[2]

يا حلوة الفم والعينين ما سبب لديك يدعو إلي كسر القناديل

وقوله: [3]

شعب تحول ليس يدرك زعمه إلا رجال .. والرجال قليل

وقوله : [4]

الحب صدق وإخلاص لمن سكنوا في حبة القلب أعواما وإن غابوا

فكأنه هنا يعكس ما هو معروف في العامية (البعيد عن العين بعيد عن القلب) .

وقوله :[5]

شكرا ... عميد الشعر كيف الحال يا طائرا قد هده الترحال

---

١ - صمود الجراح ، ص ٣٨.
٢ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٣١ .
٣ - من خارج أسوار الليل ، ص ٥٩ .
٤ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٢١ .
٥ - إلامل مطر الفصول الأربعة ، ص ٦ .

ولعل اتجاه يس الفيل إلي الشعبية وإدخاله كلمات وتعبيرات دارجة في شعره ، راجع إلي أنه يعبر عن إحساس الجماهير التي يخاطبها فيميل إلي البساطة والسهولة . ولكن نجده في بعض الأحيان يستخدم تعبيرات عامية لم تضف جديداً إلي المعني ، فيكتب عن الزلزال الذي ضرب مصر في ١٢ من أكتوبر عام ١٩٩٢ يقول : [١]

يمتد في الأرض...أني شاه زلزال ريح وتهدأ...ما في الأمر إشكال

فجملة (ما في الأمر إشكال) ضعيفة في معناها ،ولم تناسب المقام الذي وردت له . فكيف لا يحدث إشكال من وقوع زلزال ؟ لقد كان كارثة تسببت في إحداث الكثير من الخسائر المادية والمعنوية . ومع ذلك يقول الشاعر (ما في الأمر إشكال) وعلي مستوي الألفاظ المفردة نجد بعض الكلمات التي تتوارد في لغة الحياة اليومية ، ولكنها بعيدة عن لغة الشعر ، ومن أمثلة ذلك قوله : [٢]

ماذا أخذت ؟ وماذا بعد أنتظر وأنت أنت إناء فارغ قذر

وقوله : [٣]

وإن أشحت بوجه عن مساخرهم رموك من جهلهم في أقذر الحفر

وقوله : [٤]

يا فوق كل ما يري

وأكبر

وما يري قذاره

---

١ - المصدر السابق ، ص ٨ .
٢ - صمود الجراح ، ص ٣٦ .
٣ - المصدر السابق ، ص ٣٩ .
٤ - توقيعات حادة علي الناي القديم ،ص ٦٦ .

فكلمة (قذر) و (أقذر) و (قذارة) من الكلمات التي تنأي عنها لغة الشعر.

التكرار:

"يعد التكرار ظاهرة لغوية من حيث اعتماده في صوره البسيطة المركبة على العلاقات التركيبية بين الكلمات والجمل وهو يعد في علو معدلات تكراره وسيلة بلاغية ذات قيم أسلوبية مختلفه". (١)

وقد جاءت ظاهرة التكرار في مواطن متعددة في شعر يس الفيل ، فنراه يكرر لفظة أو عبارة أو بيتا ، إحساسا منه بأهمية الكلمة المكررة .

وتكرار الكلمة يبرز أهميتها ودورها الحيوي في السياق ، ويجعلها بمثابة المركز الذي يدور حوله الحديث . ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله : (٢)

وأنسي في زحام الشوق
أنسي أنني أحيا بقايا عالم مخدوع
وأنسي الجوع والحرمان والقسوة
وأنسي أن ما أرنو إليه سراب

فكرر الفعل أنسي أربع مرات وأهمية تكراره هنا ترجع إلي أنه يريد أن " يثبت مدي إخلاصه وتوقه إلي تجاوز الأزمة ،وعبور وهدة السقوط ، إذ لا يمكن أن ينفصل هذا الشعر عن الواقع السياسي المتهرئ في فترة معاصرة " .(٣)

وفي قصيدة الحب في زمن الكراهية يقول مخاطبا وطنه : (٤)

---

١ - مجلة فصول ، المجلد السابع ، ص ١٠٠ .
٢ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ١٠٧ .
٣ - د.عبد الله سرور : الميلاد وحكايات الخريف – دراسة في شعر يس الفيل ، ص ٩٩ .
٤ - توقيعات حادة على الناي القديم ، ص ١٥٤ .

فأنت علي المدي سكني

وأنت بكل ذرات الهوي المكبوت

أنت ... بلا مدي ...وطني

فنجد هذا الحضور لضمير المخاطب (أنت) الذي يتصدر كل سطر من الأسطر الثلاثة السابقة ، ليؤكد حضور الوطن وتمكنه في وجدان الشاعر ، كما أن هذا الاطراد الأسلوبي المرتكز علي التكرار يحدد موقف يس الفيل من الوطن ، وهو أن الوطن عند شاعرنا هو الحياة نفسها . ومن الأمثلة الأخري الدالة ما نجده تكرار كلمتي (يبتلع) و(أتجلد) في قوله : (١)

وإذا بي ياقدري الأعمي أحتضن الحوت

يبتلع شراعي .. أتجلد

يبتلع قلاعي .. أتجلد

يبتلع ذراعي .. أتجلد

فتسهم كلمة (أتجلد) هنا في تعميق الحالة الشعورية المسيطرة ، وهي القوة والصبر علي المكروه في مقابلة الفعل (يبتلع) الذي يثير الخوف والفزع ، وقد ورد هذا التكرار في جمل قصيرة متوالية لتصوير الانفعال الحاد بهذا المشهد .

أما تكرار الجملة فسيقابلنا كثيرا عندما نجد بعض العبارات وقد كررها الشاعر بذاتها دون تغيير في تركيبها . وفي قصيدة "إلي قاهرية" أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة فهو عندما يريد التأكيد علي جمال الحياة وروعتها في قريته يقول : (٢)

لو تهبطين جنتي

وتقرأين ألف ملحمة

١- الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٩٢ .

٢- توابعات حادة علي الناي القديم ، ص ٤١ .

علي جباه أخوتي

لتهتفين ألف مرة ومرة معي :

ما أروع الحياة

ها هنا

ما أروع الحياه

فتكرار جملة ما أروع الحياة يعطي امتدادا لمعني السعادة التي يعيشها الشاعر من خلال وجوده في قريته . وهناك نوع من التكرار يرجع الشاعر فيه للماضي وتقدمه لنا قصيدة الميلاد وحكايات الخريف "فهي تبدأ بجملة تلخص جوهر الحدث الذي تحكيه ، ونجد الشاعر يقدم حكاياه من خلال تيار مستمر لا نعرف متي بدأ علي وجه التحديد ... ولذا يضع الشاعر نقطتين متجاورتين دلالة علي المحذوف الذي يرمز إلي الماضي ويبدأ بالواو العاطفة ليستمر في الحكي" . [1] يقول في مطلع القصيدة : [2]

.. وجاءت بي ..

وكان الليل موالا خريفيا

وكان الفجر طفلا – بعد – لم يولد

ثم تتوالي الجمل الأخري لتصور المشاهد التي تدور في حكاياه ، فإذا ما انتهت تلك الجمل ، بدأت الجملة التي تتكرر عبر القصيدة بعد كل مشهد وهي جملة "وقالت لي" يقول : [3]

وقالت لي :

---

١ - انظر مقال : قراءة في ديوان الميلاد وحكايات الخريف للدكتور حلمي القاعود ، ص ٣٩ .

٢ - الميلاد وحكايات الخريف ،ص ٩٦ .

٣ - السابق ، ص ٩٨.

وكان أبي شراعا غادر الدنيا مع الشهداء

يا ولدي :

تهرأ بيتنا :

واحدودبت حيطانه

وتقلصت أحشاؤه

من طول ما جاعت

وأيام الصبا ضاعت

ثم يستأنف بعدها مشهدا آخر جديدا ، وتأتي الجملة المكررة معطوفة بالواو علي الجملة السابقة : (١)

وقالت لي

بذرنا القمح

من دمع العيون

ومن عرق الجبين

ومن دم الشريان ... رويناه

فنجد أن جملة "وقالت لي" بمثابة المفتاح لكل مشهد من المشاهد المتعددة في القصيدة .

البناء الدرامي :

اعتمد يس الفيل في بعض قصائده علي البناء الدرامي ؛ حيث أخذت هذه القصائد شكلا قصصيا باعتمادها علي السرد تارة وعلي الحوار تارة أخري ، بالرغم من ندرة الحوار عنده . فتعددت المشاهد والأصوات ولكنها غالبا أتت أحادية الصوت وكان اعتماده علي الحوار الداخلي أكثر من اعتماده علي الحوار الخارجي .

---

١ - السابق ، ص ٩٩ .

وفي قصيدة "بقايا جراح" استطاع شاعرنا أن يلتقط صورة إنسانية مؤثرة فتصور القصيدة مأساة فتاة وقعت فريسة لحب خادع أخذ يتسلل إليها رويداً رويدا حتي أوقعها في شراكه . وهو في سبيل الوصول إلي ما يريد لبس ثياب التقاة وأفاض عليها بمعسول الكلام . ولما اطمأن إلي انقيادها له . عبث بشرفها غير عابئ بمدي الجرح النفسي العميق الذي لحق بها . يقول في مطلع القصيدة [1]

الشوق في عينيك ليس بخاف ... يا زهرة سكرت بغير سلاف

أسرفت يوما في العطاء .. براءة ... والحب لا يخضر في الإسراف

ورماك.. حين رآك طهرا،وانبري ... لسواك بين مجاهل وقيافي

نصب الشباك تضرعا وتذللها ... وكسا خديعته ثياب عفاف

حتي إذا وقعت فريسة زيفه ... وانقض في ضعة وفي استخفاف

واستل منها درة مخبوءة ... في القاع بين مشاتل وضفاف

ثم يصور حركة الفتاة إثر الصدمة التي تلقتها قائلاً : [2]

وترنحت مأخوذة وتلفتت ... من ينبري لطلاسم العراف

ويمضي الشاعر في تصوير حالتها النفسيه فيقول : [3]

من يستر الجرح البريئ بخاطري ... ويذيب في وهج الصباح جفافي ؟

لم يستجب غير الصدي لندائها ... حين استقرت في يد السياف

ويصف ما دار بعد ذلك من محاولة ذلك المخادع الندم علي ما فات معترفاً بخطئه طالبا الصفح والغفران :[4]

---

١ - الميلاد وحكايات الخريف ، ص ١١٣ .
٢- الميلاد وحكايات الخريف ، ص ١١٤ .
٣ - السابق ، ص ١١٤ .
٤ - السابق ،ص ١١٤ .

وأراه يخترق الزحام ... ويحتمي بترفـــع النســـاك والأشـــراف

وأراه عاد إليك ، يذرف دمعـــه ندما .. علي ما فات من إجحاف

أنا لم أكن أعني .. وحبك فارجعي لهواي .. إني فاقـد الإنصـــاف

ومما يلفت الانتباه في هذه القصيدة تحول الضمائر من الخطاب إلي الغيبة مما يعرف في البلاغة باسم الالتفات ، والانتقال بين الضمائر يجعل القصة أكثر حضورا وفنية ، حيث استعاض الشاعر عن قلة الحوار بظاهرة تحريك الضمائر. فعندما أراد أن يتحدث عن قصة الفتاة بدأ بضمير المخاطب (أسرفت) و (رماك) ولما أحس بفداحة الجرم الذي ارتكبته تعمد إخفاء شخصيتها وتغييبها خلف ضمائر الغيبه إحساسا منه بعدم أهمية ظهورها ، وعبر عنها بقوله : (استل منها) (ترنحت) (تلفتت) ،(ندائها) .

وقد امتلأت القصيدة بالجمل الفعليه ، فاحتوت علي تسع وثلاثين جملة وهذا يدل علي أن الشاعر يريد أن يركز علي الحدث محور القصيدة . ومن الأفعال الموحية ذات الدلاله علي الموقف (أسرفت ، رماك ، نصب ، كسا ، انقض ، استل)

وللشاعر مقطوعة جاءت كلها علي هيئة حوار ،ونظراً لقصرها فقد ورد الحوار مكثفا في كلمات قليلة موجزة ، والحوار يتم بين شخصين : هو، والمراد به الشاعر وهي ، التي تقوم بدور المتسائله فيجيب علي طريقة عمر بن أبي ربيعة : [1]

قالت: أما أحببت ؟ قلت تصـــوري أحببت ..لكن من أحب غريـــب

قالت: وكيف.أجبت: كان ولم يزل في غفلة ، وعلي هواي رقيـــب

قالت: بعيد. قلت: لاهوفى المـــدي ناء ، ولا هو من يـــدي قريب

قالت: تحيرني .. أجبت : معذبي رغم الوضوح محير وعجيـــب

---

١ ـ الميلاد وحكايات الخريف ، ص ٧٨ .

قالت : أتقصدني ؟ تتهد منطقـي أنا لا أزال عن السؤال أجيـب

أما قصيدة "الجمال ورحلة الزمن" فجاءت مشتملة علي حكاية امرأة تتحسر علي أيام شبابها التي ولت وجمالها الذي انطفأ ، وأصبحت تواجه مرحلة الكهولة بما تنطوي عليها من تغييرات ، فقد تغضن وجهها وذبل عودها وتتمني أن تسمع كلمات الغزل لتحي الأمل في نفسها مرة أخري ، فيتولي الشاعر هذه المهمة ويطيب خاطرها وينبهها إلي جمال النفس الذي هو أفضل من جمال الوجه : (١)

وقالت : فر من يـدنا الشـباب وأورق في مشـائلنا السـراب
وأمسـينا .. ولا أمـل يرجـي ولا غـزل تلـين لـه الرقـاب
ولا نغم إلـي الشـفتين يسـري إذا ما فيهمـا نطـق الخضـاب

وتستمر في الحكي مبينة ما فعلته الشيخوخة بها ، فلم تعد تسمع غزلاً أو تتذوق نغماً ، وفي أثناء نعيها لجمالها الذي ذوي ، يقطع الشاعر عليها هذا الاسترسال قائلاً : (٢)

غدونا .. لا طيوب ولا حكايـا عن الفرسان طال بهـم غيـاب
وران علي مشـاعرنا ضـباب وناح علـي خمائلنـا غـراب
وأنا والحيـاة .. فقلـت مهـلا جمال الوجه أمـر قـد يعـاب

ويعدد محاسنها المعنوية ، وينبهها إلي ضرورة الالتفات إليها بدلا من التحسر علي ما فات : (٣)

وسحرك في وقارك ليس يخفي وليس يحد مـن ألـق حجـاب
وزهدك فـي التبـرج والتثنـي جمـال لـيس يشـرحه كتـاب

---

١ ـ السابق ، ص ٧٠ .
٢ ـ الميلاد وحكايت الخريف ، ص ٧٠ .
٣ـ السابق ، ص ٧١ .

ثم يقول : [1]

جمال الوجه مرحلـة وتمضـي ويبقي الحسن ما بقـي اللبـاب

فكـوني للوقـار فمـا وجيـدا وخصرا ، لا يميل به اضطراب

ويختم قصيدته بهذا البيت المعبر :[2]

جمـال فضـيلة ، ونقـاء روح هما لك خير ما يـدع الشـباب

وبعـد ،

فهناك بلا شك ظواهر لغوية أخري في شعر يس الفيل تستدعي الوقوف عندها ، ولكن ما رصدته هنا يعد أهم الظواهر من وجهة نظري الخاصة .

وبعد هذه الرحلة التي أمضيتها مع شعر يس الفيل يمكنني أن أصف لغته فأري أنها بصفة عامة تميل إلي البساطة التعبيرية التي تبعد عن الإغراب في التراكيب والغموض في المعاني . فهي لغة بسيطة سهلة أتت معبرة عن نفس صاحبها التي لم تعرف التعقيد في المشاعر أو الأفكار . وهذا يتفق مع ثقافته وتعليمه وظروفه .فشاعرنا بصفة خاصة فرضت عليه ظروفه هذه البساطة . فكانت ثقافته المحدودة التي تهيأت له في إقليمه . وظروفه الاجتماعية . وقيود العمل الوظيفي .كل هذا لم يتح له قدراً أكبر من التعمق .

---

١ - السابق ، ص ٧١ .

٢- السابق ،ص ٧٢ .